

والسبب في ذلك كله أن الأشياء عادة تحسب بأثارها . . فليست كل الأحداث في حياة المرء ذات قيمة واحدة . . نساء كثيرات يعبرن في حياة الرجل ولا يبقى في داخله غير امرأة واحدة يشعر أنها كانت غير كل النساء . ربما يذكرها في أشياء صغيرة . . رائحة عطرها كلما عبرت ولو كان العطر يطوف على امرأة أخرى في الطريق أو المصعد أو دار السينما . . قد يذكرها في أغنية بسيطة تعيد لنفسه عمراً لا يستطيع أن يسترجعه . . إنها خيال دائم المطاردة . . إذا هربنا منه واقعاً عاد إلينا وهما . . وإن هربنا منه وهما عاد لنا ذكرى لا نستطيع ولا نحب أن تصبح مثل كل الأشياء العابرة في حياتنا .

والذاكرة هي الشيء الذي فضل الله تعالى به الإنسان على كل مخلوقاته . . الذاكرة هي التي تحفظ الأماكن . . وتسترجع الذكريات وتعيش الأمس حياً نابضاً كأنه اليوم .

ولهذا أحسد كثيراً أصحاب الذكريات الكثيرة . . لا أحسد أبداً أصحاب الأرصدة ولكنني أحسد كل إنسان استطاع أن يعيش عمره حساً وخيالاً . . إن ذلك هو الثراء الحقيقي . وهو الذي يفرق بين إنسان جاء الحياة ومضى في صمت . وإنسان آخر جاء الحياة وعاشها طولا وعرضاً . فالبداية واحدة . . والنهاية أيضاً واحدة . . وما بينها مجموعة ذكريات قد تتلاشى . . وقد تعيش .

وأصحاب المواهب الكبرى في التاريخ وعظماء الفكر والفن كانوا